مقياس علم اجتماع الثقافي

موضوع علم اجتماع الثقافي: هو احد فروع علم اجتماع العام، يدرس الممارسات الثقافية أي العلاقة بين البنى المعرفية أو الفكرية أو الثقافية أو الدينية في علاقتها بالأطر الاجتماعية أي أن هناك علاقة جدلية بين الثقافة والايدولوجيا – البناء الفوقي وبين الواقع المادي الاجتماعي والبناء التحتي.

وهناك من يرى انه يجب تحليل طبيعة العلاقة الموجودة بين أنماط الإنتاج الفكري ومعطيات البنية الاجتماعية ومن رواد هذا الفرع الفريد فيبر الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء فرع جديد من فروع علم الاجتماع يدرس الثقافة أطلق عليه علم الاجتماع الثقافي إلا أن عملية الحضارة تقوم على استمرار التفكير والتقدم العقلي فالحضارة تمثل المجهود الإنساني في سبيل السيطرة على عالم الطبيعة بوسائل عقلية في ميدان العلوم والحياة العملية والتخطيط في حين أن الثقافة تقابل الفلسفة والدين والفن فالحضارة تراكمية والثقافة غير تراكمية.

ونظرا للأهمية التي احتلتها نظرية الفريد فيبر في ميدان تطوير علم الاجتماع الثقافي فقد حللها عدد من علماء الاجتماع وعلقوا عليها وفي مقدمتهم بوتومور الذي ناقش موضوع التفرقة بين الحضارة والثقافة مركزا في ذلك على أعمال **Veber Alfred** على أساس انه يعتبر من ابرز الذين قدموا تفرقة واضحة في هذا المجال فلقد ميز بين ثلاث عمليات في التاريخ الإنساني هي: العملية الاجتماعية، الحضارة والثقافة.

رواد علم اجتماع الثقافي يذهب الفريد فيبر الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء فرع جديد من فروع علم الاجتماع يدرس الثقافة أطلق عليه علم الاجتماع الثقافي إلا ان عملية الحضارة تقوم على استمرار التفكير والتقدم العقلي فالحضارة تمثل المجهود الإنساني في سبيل السيطرة على عالم الطبيعة بوسائل عقلية في ميدان العلوم والحياة العملية و التخطيط ونظرا للأهمية التي احتلتها نظرية الفريد فيبر في ميدان علم الاجتماع الثقافي فقد حللها عدد من علماء الاجتماع وعلقوا عليها وفي مقدمتهم عالم الاجتماع الانجليزي بوتومور الذي ناقش موضوع التفرقة بين الثقافة والحضارة مركزا في ذلك على أعمال Alfred Veber وذلك على أساس انه يعتبر من ابرز الذين قدموا تفرقة واضحة في هذا المجال فلقد ميز بين ثلاث عمليات في التاريخ الإنساني هي: العملية الاجتماعية والحضارة وفالثقافة ويقول بوتومور بان الفريد فيبر قد استخدم مصطلح الحضارة للإشارة إلى المعرفة العلمية والفنية ومدى سيطرتها على الموارد الطبيعية بينما استخدم مصطلح الثقافة للإشارة إلى النتاج الفني والديني والفلسفي للمجتمع ثم حاول بوتومور ان يقدم لنا تعريفين متسقين لمصطلحي الثقافة والحضارة مع ما يتسمان به من عمومية على حد تعبيره فالثقافة " هي المظاهر الفكرية للحياة الاجتماعية " وهي بذلك تتميز عن العلاقات الواقعية

وأشكال العلاقات المختلفة التي تنشا بين الأفراد واذن فالثقافة هي المظاهر الفكرية لمجتمع معين كما يقول بوتومور يمكننا ان نقر بالتفرقة التي حددها فيبر للتمييز بين الثقافة والحضارة وذلك كأساس للتمييز بين الجوانب المادية وغير المادية.

تمهيد

يمثل موضوع الثقافة اهتمامات الباحثين في مختلف مجالات المعرفة ونظرا لشمولية هذا المفهوم فقد اتسعت مفاهيمه لغة واصطلاحا إلا أن هذا المفهوم يتخذ خصوصيات في كل مجال معرفي فمن وجهة نظر سسيولوجية فهو يتطرق إلى مجالات التنشئة الاجتماعية للفرد والتي تطبع تفاعلاته وتصوراته وأفعاله في البيئة الثقافية التي ينتمي إليها أما من وجهة نظر انثروبولوجية فمفهوم الثقافة يمثل أنماط الحياة و الأساليب التي يسلكها الفرد في مواقف محددة ضمن الجماعات التي ينتمي إليها كاتخاذ طقوس معينة في مناسبات اجتماعية أو احتفالية أو ارتداء ألبسة خاصة كلها تعبر عن أنماط ثقافية لجماعات اجتماعية معينة وهذه الفسيفساء الثقافية هي التي تطبع حياة هذه الجماعات في نمط حياتها، في طريقة أكلها وطريقة لباسها وكيفية استغلالها للمجال الاجتماعي الذي تنتمي إليه ومن ثم فان الثقافة هي التي تمنح هذه الجماعات هويتها داخل المجال السسيو ثقافي وعليه فلا يمكننا فهم أفعال الجماعات وتصوراتها بمنئ عن ثقافتها التي تحملها.

' إن استخدام مفهوم الثقافة كان من طرف الانثروبولوجيين الاميريكيين والانجليز أمثال Malinowski ;Boas , Benedict ,Sapir ,Wissler وفي الانثروبولوجيا الانجليزية حاول Taylor استخدام مفهوم الثقافة في كتابه ' الثقافة البدائية ' مستفيدا من أعمال Gustav Klemm لإعطاء تركيب لمفهوم الثقافة المرادف للحضارة

-**تعريف Taylor Edward**: أشهر التعاريف التي قدمت هو مفهوم تايلور للثقافة التي يعرفها على أنها " ذلك الكل المركب.

وسنتعرض لاحقا إلى مكونات الثقافة وخصائصها و تفرعاتها كوحدة تحليل لتسهيل تفكيكها إلى وحدات جزئية بهدف فهمها ودراستها .

أولا: تعريف الثقافة عند Taylor: " الثقافة ...ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في مجتمع "

-**تعريف الثقافة عند Malinowski** " و يعد من ابرز من أسهم في تعميق مفهوم الثقافة فقد ذهب إلى ان الثقافة تشمل فيما تشمل ' الحرف الموروثة والسلع والعمليات الفنية والأفكار والعادات والقيم ' كذلك أدخل **Malinowski** مفهوم البناء الاجتماعي في اطار فكرة الثقافة، إذ يقول ' انه من الصعب فهم مصطلح البناء الاجتماعي فهما حقيقيا الا بمعالجته بوصفه جزءا من الثقافة '

- **تعريف الثقافة عند Klukhohn:** لعل المفهوم الذي حدده كلاكهون يساعدنا في فهم السلوك البشري حيث يقول : ' ...نقصد بالثقافة جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة والعقلية واللاعقلية وهي توجد في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة '

-**تعريف Bois 1930** " الثقافة تضم كل مظاهر العادات الاجتماعية في جماعة ما وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات "

-**تعريف Linton**: " الثقافة .. هي ذلك المجموع الكلي للأفكار والاستجابات العاطفية المشروطة ونماذج السلوك المتعود الذي اكتسبه أعضاء المجتمع من خلال التوجيه أو المحاكاة والذي يشتركون فيه بدرجة كبيرة او قليلة "

نحن ما يهمنا كسسيولجيين في علم اجتماع الثقافي هو دراسة المنتوج الثقافي وفيما يلي سوف نتطرق إلى مفهوم الثقافة عند المنظرين:

2-**<u>مناقشة مفهوم الحضارة</u>**: احد الإشكالات التي لا يزال الجدل قائما حولها هي الحضارة من جهة والثقافة من جهة أخرى من العلماء من يعتبر بان الثقافة هي الحضارة ومنهم من يضع تعريفا خاصا بالثقافة وتحديدا خاصا بالحضارة، لذلك يجدر بنا أن نضع الطالب في علم اجتماع الثقافي في الصورة للتفريق بين المفهومين.

-**مفهوم الحضارة**: عرفها ابن خلدون عندما تعرض إلى مراحل تكوين المجتمع البشري من خلال انتقاله من نمط اجتماعي بدوي إلى نمط اجتماعي حضري حيث يقول بان: ' الحضارة إنما هي تفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيما تختص به .....'

-**مفهوم الحضارة عند Sengler**: فقد اعتقد بوجود بعض الأنماط الرئيسية التي تميز كل ثقافة وقال بإمكانية اختزال تلك الأنماط إلى نمط أساسي واحد والذي يعتبر مفتاحا لكافة الأنماط يسير على البناء الثقافي بجمعه.

-**مفهوم الحضارة عند Touinbi** في كتابه 'دراسة التاريخ ' بتتبع العوامل والمبادئ التي تحكم نمو وأفول الحضارات واعتمد في ذلك على دراسة إحدى وعشرين حضارة يفترض أنها اجتازت تاريخ حياتها بشكل طبيعي وكامل .

3-الثقافة وتشكل الهوية: كما سبق و أن أشرنا فان الثقافة هي الوعاء الذي يتشرب فيه الفرد التنشئة القاعدية من خلال تواجده في الوسط الاجتماعي الذي يتفاعل فيه مع غيره من الأفراد وهذا التفاعل اليومي يؤدي إلى نمذجة تصوراته وأفعاله التي تتطابق مع التنشئة الاجتماعية التي تميزه عن غيره ومن ثم تتشكل لديه هوية تحدد

طرق وأنماط تفكيره ومواقفه تجاه الأشياء التي يضفي عليها معاني وقيم وإشارات هي مؤشرات على طبيعة النسق السسيو ثقافي الذي يحدد طبيعة النموذج الثقافي الذي ينتمي إليه الفرد والجماعات ومن ثم تتحدد اتجاهات الأفراد وأفعالهم

ثانيا خصائص الثقافة

1-**الثقافة نتاج اجتماعي وإنساني**: لا وجود للثقافة دون مجتمع إنساني ولا وجود للمجتمع الإنساني دون ثقافة ما فهما ظاهرتان متماسكتان اشد التماسك ويشبههما كروب كسطحي الورقة في تلاصقهما فإذا محونا من أي مجتمع إنساني ثقافته فإننا بذلك نكون قد سلخنا عنه بشريته.

الثقافة تنشا عن الحياة الاجتماعية البشرية وهي من اختراع واكتشاف الإنسان والثقافة تشمل جميع نواحي التراث الاجتماعي البشري أو كل ما يميز الحياة الاجتماعية عند الإنسان.

2-الثقافة مكتسبة: إن الثقافة ليست غريزية ولا فطرية كما أنها لا تنتقل بيولوجيا ولكنها تتكون من العادات التي يكتسبها كل فرد خلال خبرة حياته بعد الميلاد وتتضمن الثقافة توقعات الجماعة التي يتعلمها الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية كما انه عن طريق هذه العملية يكتسب عموميات السلوك التي تشكل الثقافة. ويكتسب الأفراد الثقافة من خلال صلاتهم وعلاقاتهم مع الآخرين.

3-الثقافة انتقالية : تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل على شكل عادات وتقاليد و نظم وأفكار ومعارف يتوارثها الخلف عن السلف عن طريق المخلفات المادية والرموز اللغوية كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي إلى وسط اجتماعي آخر وبهذا المعنى فإنها تراكمية فالإنسان يستطيع أن يبني على أساس منجزات الجيل السابق أو الأجيال السابقة فهو ليس بحاجة إلى أن يبني فإنها تراكمية.

4-**التعقيد والتركيب:** لقد أشار إلى هذه الخاصية التركيبية عدد كبير من علماء الانثروبولوجيا في التعريفات الكلاسيكية التي قدموها للثقافة بدءا من تعريف تايلور ويرجع ذلك التعقيد إلى تراكم التراث الاجتماعي خلال عصور طويلة من الزمن.

5-الذيوع و الانتشار: من خصائص الثقافة انتشار عناصرها وسماتها داخل المجتمع الواحد أو بين عدد من المجتمعات وتتم عملية الانتشار بواسطة محركات أو وسائل كالتجارة والحروب و تبادل الآثار العلمية و الجامعات ووسائل الاتصال .

تحليل الثقافة: قام العلماء بتقسيم الثقافة إلى ما هو مادي وغير مادي وهذا التقسيم يدل على أن موضوع علم اجتماع الثقافي يدرس كل منتوج ثقافي

- **الثقافة المادية:** ويقصد بها مجموع الأشياء المادية التي يصنعها أفراد المجتمع لسد حاجاتهم اليومية كالآلات والأسلحة الملابس فالطبيعة التراكمية للثقافة يمكن أن يلاحظها بوضوح أكثر فيما يتعلق بالثقافة المادية التي يمثلها الأدوات والمباني على سبيل المثال إذا ما قورنت بالثقافة غير المادية ويمثلها الدين وآداب السلوك ويشير

مصطلح الثقافة المادية ليعني الأشياء التي تشكل جزءا من التراث الاجتماعي الذي هو جزء من بيئة الإنسان بينما تشكل الطبيعة الجزء الثاني ومن هنا تصبح الأشياء المادية من التراث الاجتماعي إضافة جديدة للبيئة فالمنازل تقي ساكنيها من المطر وهي كل ما يصنعه الإنسان وكل ما ينتجه.

- **الثقافة غير المادية:** تمثل الثقافة غير المادية الجانب الإيديولوجي للثقافة وهي مظهر من مظاهر السلوك التي تتمثل في العادات والتقاليد والمثل والقيم والأفكار والمعتقدات، نستخلص من ذلك أن هناك مستويين من الثقافة الأول مادي ويتضمن كل الأشياء المادية في نسق معين بينما المستوى الثاني غير المادي أو الفكري يتضمن كما ذكرنا المعاني والقيم والمعايير والعلاقات.

- **الثقافة الظاهرة :** من بين محاولات تحليل الثقافة لتبسيطها وإلقاء ضوء أكثر على دراستها تقسيمها إلى ثقافة ظاهرة وضمنية على أساس وجود درجات لرؤية السلوك الثقافي تتراوح بين الأنشطة المقننة للأشخاص وبين دوافعهم الداخلية والتي غالبا ما تكون لاشعورية، التي تجعلهم يسلكون سلوكا معينا ويرى **klachohn** ان الثقافة الظاهرة تشتمل على تلك الانتظامات في الأقوال والأفعال والتي تأخذ شكلا عموميا يمكن ملاحظته عن طريق الحواس وخاصة حاستي السمع والبصر.

-**الثقافة الضمنية**: أما الثقافة الضمنية فيذهب **klachohn** إلى أنها تجريدية أي يمكن استخدامها من الدوافع الكامنة وراء السلوك، نستطيع مثلا أن نستدل على السلوك الثقافي للمراهقين من الانتظامات في ملابسهم ومحادثاتهم وآدابهم السلوكية وهذا على المستوى الظاهري آو الملموس أما على المستوى الضمني فان الرغبة الضمنية أو الكامنة في الموافقة الاجتماعية هي الدافع الخفي وراء السلوك الجمعي للمراهقين .

ويعتبر **Ralf Linton** أول من استخدم مصطلح ثقافة مستترة في كتابه ' الأساس الثقافي للشخصية ' الذي صدر سنة 1945 فهو يرى أن الثقافة تضمن على الأقل عناصر ثلاث : العنصر المادي وهو الإنتاج الصناعي والعنصر الحركي وهو عبارة عن السلوك الظاهر وأخيرا العنصر النفسي و هو عبارة عن المعرفة والمواقف و القيم التي يشترك فيها أفراد المجتمع وظواهر النوعين الأول والثاني تكون المظهر المفتوح أو الواضح أو الظاهر من الثقافة أما ظواهر النوع الثالث أي الظواهر النفسية فهي تكون الجانب المستتر أو الباطن من الثقافة

-**الانتشار بين الثقافة المادية والثقافة غير المادية**: يعتقد عدد كبير من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا والاقتصاد أن الثقافة المادية والحضارية والاقتصادية أكثر ذيوعا وانتشارا من الثقافة اللامادية أو تلك التي تقوم على العقائد والإيديولوجيات إلا أن بعض علماء الاجتماع يرى العكس فالعنصر التكنولوجي لم يكن أكثر امتدادا أو انتشارا من فكرته كما لم تكن المظاهر الإيديولوجية للظاهرة العلمية التكنولوجية اقل انتشارا من عناصرها المادية و يقف في مقدمة المؤيدين لهذا

الاتجاه عالم الاجتماع **Sorokin** الذي يرى أن العناصر الإيديولوجية تنتشر بشكل أكثر من العناصر المادية كما يتحقق ذلك لأي ظاهرة ثقافية أخرى و إذا كان أصحاب هذا الاتجاه يرون أن الظاهرة العلمية والتكنولوجية والاقتصادية تكون أسرع امتدادا من الظاهرات الدينية او الأخلاقية والفنية والتشريعية والفلسفية واللغوية حينئذ تكون افتراضاتهم محل تساؤل واستفهام حتى ولو بدت آراؤهم في هذه الصيغة المنطقية وقد كان **Sorokin** يعرض نظريته هذه من خلال انتقاده لنظرية **Wiliam** اوجبرن في تغير الثقافة المادية أسرع من الثقافة اللامادية وقد أيد **Sorokin** رأيه بانتشار الديانات التبشيرية العالمية كالإسلام والمسيحية وانتشار الإيديولوجية الاشتراكية واستمرار القانون الروماني والنابليوني كمصدر للقانون المدني ويرى بعض علماء الاجتماع أن عناصر الثقافة التكنولوجية والأنساق الثقافية في المجتمع الصناعي تتغير بالدرجة الأولى من الداخل نظرا لوجود المادة الخام والمعرفة اللازمة إلى جانب القدرة العقلية التي يتطلبها الاختراع في الأشياء المادية والحاجة الاجتماعية التي تؤدي إلى مزيد من التقدم في هذا الميدان ويقول عالم الاجتماع الفرنسي Roger Bastide انه حينما تلتقي ثقافة بثقافة أخرى تحدث بينهما ظاهرة الانتقاء ويعود ذلك إلى أن العناصر الثقافية ليست في مستوى واحد فمنها ما هو مقبول ومنها ما هو مرفوض وهو يرى أن الصور المادية للثقافة تقبل أولا ثم تأتي بعد ذلك صور الثقافة الاقتصادية مثل طريقة الملكية والعمل باجر الخ وأخيرا تقبل الصور الدينية وهي في رأيه أكثر عناصر الثقافة مقاومة ونجد هنا **Bastide** اقرب في أرائه في الانتشار الثقافي إلى اجبرن منه إلى **Sorokin** أما عالم الاجتماع الفرنسي الثاني **R. Maunier** فقد أكد على الوضع الاجتماعي الذي يكون فيه الفرد القابل للتغير وتقبل عناصر ثقافية جديدة ومع أن **Maunier** يرى ان الأشياء المادية تقبل أولا قبل المواضيع الدينية والفكرية مثله في ذلك مثل اجبرن و**Bastide** إلا أن **Maunier** يرى من جهة أخرى أن الطبقات الدنيا في المجتمع وان كانت أسرع في قبول الأشياء المادية كالسلع والمنتجات التكنولوجية فان الطبقات العليا تتجه إلى قبول الأنماط السلوكية وتقليد الأفكار التي تأتي من الخارج لان في ذلك ما يميز أفرادها من حيث تشبههم بأصحاب الثقافة الغالبة.

-دراسة الثقافة: كما سبق وأن اشرنا فان الثقافة هي الموضوع الرئيسي للانثروبولوجيين والسسيولوجيين على السواء ولدراسة الثقافة دراسة علمية قسم العلماء الثقافة إلى ابسط أجزائها لتسهيل دراستها من خلال المفاهيم الآتية:

أولا: العنصر الثقافي: يرى **Emilio Willems** في قاموسه علم الاجتماع ان مصطلح 'عنصر ثقافي ' مصطلح نوعي يستخدم في تحليل الثقافة لتحديد الوحدات البسيطة او المركبة التي تتضمنا ثقافة معينة هذه العناصر يمكن أن تكون مصنفة بالتفصيل في شكل سمات او مكبات ثقافية ويتكون العنصر الثقافي من عدد من السمات الثقافية وقد حلله **Linton** بصفة وافية، فقد فقال بان العنصر الثقافي يتميز

بأربعة جوانب أو سمات على الأقل هي: الشكل والاستخدام والوظيفة والمعنى ويتضمن شكل العنصر الثقافي الهيئة و الأبعاد وطرق الصياغة وتتميز أشكال العناصر الثقافية المادية وغير المادية بإمكان ملاحظتها بسهولة وتناقلها بسهولة، أما وظيفة العنصر الثقافي فتتميز بأنها أوسع من استخدامه وهي تنصب على مكانة العنصر في الثقافة الكلية فقد يستخدم شعب معين الفأس في وظائف متعددة تتصل بالزراعة وتطهير الأرض أما بالنسبة للمعنى فيشير إلى مجموع الارتباطات التي يقيمها الشعب في مجتمع معين حول عنصر ثقافي ما.

ثانيا: السمة الثقافية: وهي أصغر وحدة يمكن تمييزها من الوحدات المماثلة في البناء الثقافي وقد تكون هذه السمة صفة أو خاصية ثقافية معينة وقد اعتمد الباحثين في الانثروبولوجيا تقسيم الثقافة إلى أصغر جزئياتها للمقارنة بين الثقافات وقد عرفها كروب ربانها' أنها أدق عنصر يمكن تعريفه من عناصر الثقافة وعرفها جاكوبنز بأنها' الوحدات و السمات الدقيقة للسلوك والحرف التي تتناقل اجتماعيا.

ثالثا: مفهوم النمط الثقافي: يرى بعض المهتمين بالثقافة أن أفضل تحديد للنمط الثقافي ذلك الذي قدمه عالم الانثربولوجيا **Edward Sapir** حينما عرفه بأنه' أسلوب تعميمي للسلوك يتعلق بالمجتمع أكثر مما يتعلق بالفرد وعرفه **Krober** على أساس أن: الأنماط الثقافية هي روابط أو صلات قائمة بين العناصر الثقافية يفترض أنها تشكل بناء محدود ومتماسكا يؤدي دورا وظيفيا ويكتسب قيمة تاريخية وحقق استمرار في الوجود' ويشير مصطلح النمط الثقافي إلى أسلوب معين من أساليب السلوك يمثل جزءا من ثقافة معينة.

رابعا: **المركب الثقافي :** هو مجموعة سمات و أنماط ثقافية متكاملة تكاملا وظيفيا ومتلازمة تلازما ظرفيا وبيئيا بحيث تطبع المجتمع بطابع خاص في زمان ومكان معنيين بحيث تصبح هي المحور الذي تدور حوله معظم النظم الاجتماعية السائدة في هذا المجتمع من أمثلة ذلك مركب تعدد الزوجات في الإسلام الذي يتكون من مجموعة من السمات.

-**طبيعة التداخل بينهم:** مجموع السمات الثقافية تتداخل بينها وتترابط ترابطا وظيفيا مشكلة ما يعرف بالنمط الثقافي الذي يمثل ما يعرف بالمركب الثقافي ومجموع المركبات الثقافية في مجتمع من المجتمعات يكون ثقافة ذلك المجتمع.

إن تفاعل هذه العناصر والسمات الثقافية (المادية والغير مادية) داخل المجتمع لا تتم بكيفية منعزلة

وعشوائية وإنما تتم بكيفية ترابطية وظيفيا في إطار واحد يعرف بالنمط الثقافي فالطفل مثلا عندما يتعلم سمات ثقافية لا يتعلمها منعزلة بعضها عن بعض وإنما يتعلمها في غالب الأحيان ضمن اطار عام من السلوك هو النمط الثقافي ولا يكون لأجزاء النمط الثقافي معنى حقيقي إلا من حيث كونها مرتبطة وظيفيا المجتمع انه

ينظم سلوك الأفراد وبدونه تعم الفوضى والعشوائية حياة الجماعة وينعدم النظام بين وحداتها.

نظريات الثقافة:

-**نظرية Linton**: يرى لينتون أن الدعامة التي تقوم عليها دراسة الثقافة و الشخصية هي الفرد فعلى الرغم من وثاقة العلاقة الوظيفية بين الفرد والثقافة والمجتمع فانه يرى ضرورة الفصل بينها لغرض الدراسة وعلى الرغم من أن الفرد قلما يكون ذا أهمية كبرى لبقاء المجتمع الذي يعيش فيه ولاستمرار وفاعلية الثقافة التي يسهم فيها ويتفاعل معها فان الفرد و حاجاته وإمكانياته أساس كل الظواهر الاجتماعية والثقافية لهذا السبب فان دراسة الفرد يجب ان تكون نقطة البداية في أي بحث للمجتمع والثقافة والشخصية.

-**حاجات الإنسان:** يرى لينتن انه يمكن أن نفترض أن حاجات الفرد هي دوافع السلوك الأساسية وعلى ذلك تكون هي المسؤولة عن تفاعل المجتمع والثقافة وحاجات الإنسان هي أكثر تنوعا من حاجات أي كائن حي.

-**الحاجات النفسية**: على الرغم من أهمية الحاجات النفسية كدوافع للسلوك فإننا لا نعرف الكثير عنها معرفة دقيقة من حيث وصفها وتصنيفها والحاجات النفسية على العموم حاجات دقيقة جدا لدرجة يصعب معها دراستها دراسة موضوعية وأهم هذه الحاجات النفسية وأبرزها في تفسير السلوك البشري هي:

-**الحاجة إلى الاستجابة العاطفية** لعل أهم الحاجات النفسية وأقواها نشاطا الحاجة إلى الاستجابة العاطفية من الأفراد الآخرين.

2-نظريةMalinowski: تقوم نظرية مالينفسكي على نظرة قائمة على الحاجات الأساسية والاحتمالات المختلفة لإرضائها وهي في ذلك تتفق مع نظرية لينتن غير انها تبرز المفهوم الوظيفي الذي اعتنقه بشكل ظاهر، ففي رأيه أننا اذا تعرضنا لدراسة اي ثقافة بدائية كانت او متقدمة معقدة فإننا سنجد أنفسنا أمام مجموعة واسعة من الوسائل بعضها مادي وبعضها إنساني وبعضها روحي وهذه الوسائل هي التي تعين الشخص على معالجة المشاكل الخاصة التي تقابله وتنبع هذه المشاكل من تلك الحقيقة وهي أن الشخص له جسد خاضع لعدة حاجات عضوية وانه يعيش في بيئة موالية له بمعنى أنها تقدم له المواد الخام التي على أساسها ينتج ويبتكر.

-**الحاجات الأساسية والحاجات الثقافية**: ونظرية مالينفسكي في الثقافة تحاول أن تبين أن الحاجات الأساسية للفرد وإشباعها الثقافي يرتبط ارتباطا وثيقا باشتقاق حاجات ثقافية جديدة وان هذه الحاجات الجديدة تفرض على الفرد والمجتمع نوعا ثانويا من الجبرية أو الإلزام و يرى بان العلاقة بين أي نشاط ثقافي وأي حاجة إنسانية أساسية يمكن أن نقول عنها أنها وظيفية.

-**نظرية Simner:** يرجع سمنر النشأة الأولى للطرق الشعبية أو العادات الاجتماعية التي تقترب في معناها كثيرا من الثقافة بل إنها لتكون المحتوى الأساسي للثقافة إلى

الحاجات الضرورية الحيوية التي تتطلب الإرضاء والإشباع ويمكننا ان نلخص آراءه في هذه الناحية في انه لكي يتم إرضاء الحاجات الضرورية لا بد من قيام الناس أفرادا وجماعات بأفعال أو طرق أو أساليب مختلفة من النشاط يغلب عليها المحاولة تصل إلى أعلى مستوى للتكيف تبعا للاهتمامات التي يراد إشباعها.

ـ **نظرية ابن خلدون**: و قد سبق هؤلاء في آراءهم في الأسس الخاصة بالثقافة ابن خلدون فقد أوضح في مقدمته كيف ان دوافع الإنسان الفطرية هي أساس الظواهر الاجتماعية بل أساس الثقافة بمعناها الكامل كما حلل النشاط الاجتماعي وابرز ما يحتوي عليه من ظواهر هي نفس الظواهر التي أبرزها **Malinowski** وهي ظاهرة التخصص وظاهرة تقسيم العمل وظاهرة التعاون التي بدونها لا تتحقق مطالب الإنسان فابن خلدون يرى أن الاجتماع الإنساني ضروري للتعاون من اجل الحصول على الغذاء
و يقول في ذلك "أن الاجتماع الإنساني ضروري و يعبر الحكماء عن هذا بقولهم : أن الإنسان مدني بالطبع (أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران .....)
ـ**التغير الثقافي**: يتفق علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الثقافية ان ظاهرة التغير تشمل جميع المجتمعات الصغيرة منها والكبيرة ومن ثم فالتغير هو سبب بقاءها ونموها فبواسطته تتكيف مع واقعها وتسد من خلاله حاجاته وتختلف درجة التغير من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى و ذلك من حيث الزمان التاريخي والمكان الجغرافي
ـإن التغير عملية موازية يعمل من خلالها المجتمع على الملاءمة بين كيانه و تنظيماته ، كما أن التغير الثقافي يرتبط بوظيفة إشباع الحاجات الأساسية و الثانوية لأعضاء الثقافة الواحدة فالعادات وأنواع السلوك و الوسائل المادية التي تقدمها الثقافة يتوقف بقاءها على مدى قدرتها على الاستمرار في اشباع تلك الحاجات وهي حين تعجز عن ذلك يكون التغير ضرورة اجتماعية و خصوصا إذا علمنا أن لكل جيل متطلبات ومستحدثات سواء كان ذلك في النواحي المادية او النواحي اللامادية
و لكن لا بد من الإشارة إلى ان التغير الثقافي ليس مجرد إضافة ميكانيكية او تعويض مطلق لبعض الأنماط أو السمات الثقافية وإنما هو آفة وتعويض كيفيان أو " تهجين " و" توليد" بين سمات ثقافية مختلفة وان كان علماء الاجتماع في الوقت الحاضر يرون أن التغير في الثقافة وفي البناء الاجتماعي يشكل أحد ميادين علم الاجتماع المعاصر فان عدد كبير آخر منهم خاصة أصحاب المدرسة الانجلوسكسونية استخدموا تعبير " التغير الاجتماعي " وذلك للدلالة على ظاهرة التحول والنمو والتكامل والتكيف والملاءمة وهي العمليات التي يتعرض لها كل نسق ثقافي.

أما عالم الاجتماع العربي محي الدين صابر فقد فضل مصطلح التغير الثقافي على مصطلح التغير الاجتماعي وذلك لسببين حددهما بوضوح احدهما علمي فني والثاني علمي وطني او كما قال أحدهما أعم مدلولا وأوسع مفهوما.

التثاقف Acculturation

لقد اقترح كل من **R Linton Herskovits , Redfield** تعريفا لدراسة التثاقف ' التثاقف هو مجموع الظواهر الناتجة عن الاتصال المباشر بين جماعات الأفراد ذوي الثقافات المختلفة والتي تؤدي إلى تغيرات في النماذج الثقافية الأولية لأحد الجماعات أو للجماعتين "

قدم الباحث الأميركي Herskovits مصطلح التثاقف أو التزاوج الثقافي ليشير إلى هذا النوع من دراسات الاتصال الثقافي ولعل من أفضل تعريفات عملة التثاقف هو ما قدمه Herskovits وزميله **Redfield** التعريف أن التثاقف يشمل التغير الثقافي في تلك الظواهر التي تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر مستمر معهما مما يترتب عليه حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى هاتين الجماعتين او فيهما معا وتتباين عادة هذه أسباب حدوث هذا الاتصال وطبيعته فهناك الاتصال الذي حدث بين الشعوب الاروبية المستعمرة والجماعات الواقعة تحت سيطرة هذا الاستعمار في افريقيا وآسيا وأن العلاقة يسودها التحكم والسيطرة هذا وقد تأخذ عمليات التثاقف مجرى آخر كما هو الحال في الاتصال الثقافي بين جماعات المبشرين المسيحيين والجماعات الوثنية خارج اروبا وعلى أية حال فانه أيا كانت طبيعة هذا الاتصال ونتائجه فقد اهتم الاثنولوجيون بدراسة السمات الثقافية التي تأخذها الجماعات من بعضها البعض وكيفية حدوث عملية الأخذ والعطاء وعلى أي أساس وما هي أولويات الاختيار وسبب ذلك ومن رواد الاتجاه التثاقفي في دراسات التغير Margaret Mead التي درست التغير الثقافي في أحد مجتمعات الهنود الحمر نتيجة احتكاكهم بالمستعمرين البيض وقد أجرت Mead هذه الدراسة في أوائل الثلاثينات واستطاعت أن ترى الاضطرابات التي حدثت في الحياة التقليدية عند مجتمع الهنود الحمر وقد لاحظت ان الأمر ليس سهلا بشان عمليات التثاقف والتكيف مع الثقافة الدخيلة وان المجتمع الهندي الأحمر كان أثناء الدراسة في حالة صراع مرير بين الثقافة الجديدة والقديمة ولم يكن قد تكيف بعد مع الأوضاع الجديدة بصفة عامة وقد لاحظت ان المستعمرين البيض لم يهدفوا إلى الأخذ والعطاء بين الثقافتين وانما أرادوا للهنود الحمر ان يندمجوا في ثقافتهم كلية وقد ركز عدد من الانثروبولوجيين الاميريكيين على دراسة عمليات التثاقف بين جماعات الهنود الحمر.

والمستعمرين البيض، وجه غالبية الباحثين الانجليز اهتمامهم الى دراسة عمليات التثاقف في إفريقي ومع ذلك فقد أسهم الباحث الاميريكي **Herskovits** اسهاما كبيرا في مجال دراسات التغير الثقافي في افريقيا

وفي هذا الصدد يجب ان نذكر ان دراسات هذا الأخير قد دعمت فكرة النسبية الثقافية التي طرحها قبله الانتشاريون والوظيفيون على حد سواء وقد تساءل كيف يمكن اصدار أحكام تقييمية على ثقافة لا تعرف الكتابة (الثقافة البدائية) طالما ان كل فرد يفسر الحياة الإنسانية في حدود ثقافته الخاصة؟ فمن الخطأ أن تسعى الثقافة الغربية لا طلاق أحكام مسبقة على الثقافات الأخرى وتتخذ من ذلك أساسا ومبررا للممارسات الاستعمارية.

قائمة المراجع

1- محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته مكتبة المدينة، دون سنة
2- سامية الساعاتي، الثقافة والشخصية مكتبة الشريف وسعيد رأفت للطباعة و النشر 1977
3- محي الدين صابر ، التغير الحضاري و تنمية المجتمع سرس الليان 1962
4-عبد المنعم نور الحضارة و التحضر مكتبة القاهرة الحديثة 1970
5-حسين فهيم قصة الا نثروبولوجيا ، فصول في تاريخ الانسان عالم المعرفة ، يناير 1978
6-احمد بن نعمان ، سمات الشخصية الجزائرية **Univ-SBA .7 Olm.Org**